

المقاربات النظرية للتعليم الحديث وبناءها المعرفي

Theoretical approaches to modern education and its knowledge building.

بن يوسف امال* ، خلداوي نادية

¹ جامعة الدكتور يحي فارس المدية (الجزائر)، amloamel@gmail.com² جامعة الدكتور يحي فارس المدية (الجزائر)، nadakheldaooui@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/07/30

تاريخ القبول: 2022/07/04

تاريخ الاستلام: 2022/05/22

ملخص: يهدف البحث الحالي الى توضيح اهم المقاربات النظرية المعتمدة في التعليم الحديث والاسس المعرفية المنتهجة في بناءها، سنعمد الى التعرف على مفهوم التعليم و التعلم في القرن الواحد والعشرين وكذا النظريات المفسرة لكل من التعليم والتعلم ، وهذا من خلال عرضنا للتطورات العالمية الحاصلة في العالم والتي شملت جميع المجالات وعلى راسها المجال التربوي والتعليم ، فالجزائر كانت من بين تلك الدول التي سعت لمواكبة تلك التطورات ، وهذا من خلال تبنيها مقاربات بيداغوجية جديدة ، حتى تواكب تلك التطورات وتجعل من تعليمها، تعليما فعالا وذو جودة عالمية، لهذا الغرض ولتحقيق هذا الهدف انتهجت الجزائر سياسات تربوية بالاعتماد على مقاربات علمية حديثة ومنتطورة وعلى راسها افكار النظرية المعرفية لبياجيه وكذا تحليل مبادئ النظرية الجشطالتيية على سبيل المثال وهذا ما سنوضحه .

كلمات مفتاحية: المقاربات النظرية الحديثة؛ البناء المعرفي؛ التعلم الحديث.

Abstract; the current research aims to identify the concept of education and learning in the twenty-first century, as well as the explanatory theories of each of the teaching and learning within the framework of theoretical approaches and knowledge of the knowledge building, and this is through our presentation of the global developments taking place in the world, which included all fields, especially the educational and scientific field, and Algeria was Among the countries that sought to keep pace with these developments, in light of the change witnessed by the educational systems in the twenty-first century, the Algerian school, like other systems in the world, tended to adopt new pedagogical approaches. **Keywords:** Modern theoretical approaches, cognitive construction, modern learning.

* المؤلف المرسل: بن يوسف امال ، الإيميل: amloamel@gmail.com

1. مقدمة :

ان عملية بناء وإعداد البرامج وتطويرها وتعديلها يجب أن يكون مبني على اعتبارات علمية وسياسية وحضارية، وكذلك مرتبطة بخصوصية البلد من حيث ديانتته وثقافته وتاريخه الحضاري، والجزائر كغيرها من البلدان العالمية سعت إلى تطوير وبناء برامج تعليمية وتربوية تحقق لمتعلميها جانبا من الشمولية والتناسق الفكري العالمي يضمن لهم مسايرة الركب الحضاري والتطور المعرفي السريع، وتكسيهم خبرات ومعارف تأهلهم للالتحاق بهذا الركب.

لهذا سعت البرامج التربوية الحديثة جاهدا لتحقيق التغيير والبحث عن السبل لمناهج الدراسية التي تبني وفقا للأسس العلمية وتحت إشراف متخصصين في المناهج تجعل عملية التعليم والتعلم أكثر حيوية وجاذبية، وتساهم في جودة مخرجات العملية التربوية والتعليمية وتجعل هذه المخرجات قادرة على تلبية متطلبات سوق العمل وتطويره وتمكنها من الإسهام في خلق الحراك الاجتماعي والتطور والازدهار.

فعملت البرامج الحديثة على البحث عن السبل والطرق التي تجعل من المتعلم محورا هاما وأساسيا له وإعداد البرامج التي تتماشى معه ومع مستواه ومرحلته العمرية، وذلك بتزويده ببناءات معرفية قوية ومتميزة تجعل عملية التعلم عملية حيوية ينتقي منها خبرات ومعلومات تساعده في حياته اللاحقة ويجعله مجهودا شخصيا ونشاطا ذاتيا يصدر من المتعلم أو يصدر عن مساعدة المعلم وإشرافه على هذه العملية. فالمنهج يحتوي في العادة على قائمة بالأهداف العامة والخاصة له، كما أنه يحتوي على كلام عن كيفية اختيار وتنظيم المحتوى الذي فيه، وهو كذلك إما أن يشير ضمنا أو يتحدث صراحة عن طرق تدريسية وتعليمية معينة سواء حتم ذلك طبيعة الأهداف أم طريقة تنظيم المحتوى، وفي نهايته نجد برنامجا لتقييم نتائجه أو مخرجاته إن أحد الأهداف التي تسعى إليها المنظومة التربوية الحالية هو توفير الفرص المناسبة والملائمة للمتعلمين لتنمو طاقاتهم وإمكانياتهم لأقصى حد ممكن، من خلال الكشف عن قدراتهم وميولهم.

فقامت هذه البرامج على أساس اعتماد المتعلم على نفسه في تحقيق تعلمه ولتحقيق أهداف تعليمية تتناسب مع قدراته واهتماماته واتجاهاته، ومنحه فرصة المساهمة في الحصول على تراكم معرفي واستمرارية المعلومات فقد سعت إلى إعداده وتدريبه على أن يكون تعلمه منهجيا ونابعا من مجهوده الخاص، حيث كان هدفها هو تدريب التلميذ على استعمال مجموعة من المهارات العقلية في تعلم كيفية التعلم، وهذا ما يزيد متعته ورغبته في المواصلة والبحث عن الموضوعات التي يهتم بها ومن خلالها سينمي ثقته بنفسه وتساعد على الشعور بالفخر في انجازه التحصيلي وبمكانته وقيمتها في هذه العملية وانه هو صاحب القرار والنتيجة وأنها لم تفرض عليه فرضا جازما ولا تعنيه ولا تهمة .

ووفقا لما توصلت إليه نظريات التعلم الحديثة ، تغيرت مجالات اهتمام التربية في البحث فيما يتعلمه المتعلم فحسب إلى البحث في الكيفيات التي يتعلم بها ويبحث بنفسه عن المعلومة ويجدها بمجهوده الخاص أو بمساعدة الآخرين، بحيث يصبح عنصرا فعالا ونشطا ومساهما بشكل كبير في الحصول على الخبرة وتنميتها بممارسته لها بما يتناسب مع قدراته وإمكانياته واهتماماته، فهم نشيطون ومساهمون بقدر كبير في إعادة تنظيم المادة المتعلمة وإعادة بناء المعرفة الموجودة بها وربطها بالمعرفة السابقة مما يساهم في تكوين بنيات معرفية أكثر استقرارا، فمن المفيد أن ننظر إلى المتعلم على أنه كل متكامل.

وأن نكشف كل ما لديه من قدرات ومواهب ونقاط قوة وضعف وذلك لتنمية نقاط القوة والتعويض أو التخفيف من نقاط الضعف قدر الإمكان، وهذا أصبح على التلميذ أن يكون عنصرا نشيطا وفعالاً في استقبال المعلومات، منظما لها ومنتقيا منها ما يناسب ميوله ورغباته وظروفه، موظفا لما يملكه من قدرات عقلية، مستعملا جملة من الاستراتيجيات المعرفية لتجهيزها وتنسيقها وتبويبها وتشفيرها واستيعابها، ثم تنظيمها إلى أنماط معرفية ذات معنى وفائدة (خليفة وعلى سعد، 2010 ص 30)

فالأهداف التربوية حظيت باهتمام واسع من قبل المنظرين والتربويين، معتمدين في ذلك على تنمية المجالات الثلاث للمتعملم وهي المجال المعرفي والمجال الوجداني المجال المهاري، وهذا ما نسعى في مقامنا هذا لإبرازه من خلال النظريات التربوية المعتمدة في مناهج وافكار الاصلاح التربوي.

اهداف المناهج الدراسية الحديثة في الجزائر:

1-بناء مناهج الدراسية وفق اسس علمية عملية وتحت إشراف متخصصين في المناهج تجعل عملية التعليم والتعلم أكثر حيوية وجاذبية، وتساهم في جودة مخرجات العملية التربوية وتجعل هذه المخرجات قادرة على تلبية متطلبات سوق العمل وتطويره وتمكنها من الإسهام في خلق الحراك الاجتماعي.

2-احتواء المناهج في العادة على قائمة الأهداف العامة والخاصة به والتخطيط الدقيق لها، كما أنه يحتوي على كلام عن كيفية اختيار وتنظيم المحتوى الذي فيه، وهو كذلك إما أن يشير ضمنا أو يتحدث صراحة عن طرق تدريسية وتعليمية معينة سواء حتم ذلك طبيعة الأهداف أم طريقة تنظيم المحتوى، وفي نهايته نجد برنامجا لتقييم نتائجه أو مخرجاته.

3-توفير الفرص المناسبة والملائمة للمتعلمين لتنمو طاقاتهم وإمكانياتهم لأقصى حد ممكن، من خلال الكشف عن قدراتهم وميولهم وهذا ببناء وإعداد برنامج مخطط ومتوازن من الدراسات التي تتسق مع قدراته وإمكانياته وفروقه الفردية وتزيد فرص اثبات الذات وتقوية الشخصية.

4- تجسيد فكرة التعلم النشط والمستمر :

اذ يعد مصطلح التعلم النشط أو المستمر وليد فلسفة المتغيرات العالمية والمحلية المعاصرة ومساعدتها وهو يعد تلبية لهذه المتغيرات وهو ينادي بنقل بؤرة الاهتمام من المعلم إلى المتعلم وجعل المتعلم محور العملية التعليمية ، وان يرتبط التعلم بحياة التلميذ وواقعه واحتياجاته واهتماماته وأن ينطلق من استعداداته وقدراته على إحداث تفاعل مع كل ما يحيط به في بيئته، مساعدة الطفل على إدراك أن الخبرات المدرسية تساعد في تنمية المهارات والسلوكيات التي تتطلبها الحياة ،ومن ثم العمل علي أن يكون للمدرسة دور فاعل في إعداد الطفل للحياة.

4-الفعالية الذاتية: الفعالية الذاتية هي أحد النماذج التي تم تبنيها في علم النفس الإيجابي ، على أنها الإيمان بالذات والتفاؤل في الوصول الى أهدافنا وتحقيق نتائج مرضية في مختلف النشاطات التي نقوم بها في حياتنا. ويعرف عالم النفس الأمريكي ألبرت بانديورا الفعالية الذاتية بأنها إيمان الذات بقدرتها في السيطرة على مختلف المواقف والأحداث التي تؤثر بحياته او التي تركز على دور التعلم من خلال الملاحظة، والتجارب الاجتماعية، والعوامل الشخصية والبيئة المحيطة في التأثير على نمو شخصية الإنسان، واعتبر بانديور أن هذا التأثير متبادل بين تطور الشخصية وعوامل البيئة المحيطة، فكلاهما يؤثر بالآخر ويتأثر به. وتبعاً لذلك فإن للفعالية الذاتية أثر في الحالات النفسية التي نمر بها وفي السلوكيات والدوافع التي لدينا، إضافة الى انه يتم تمييز الأشخاص الذين يؤمنون بذاتهم وبقدرتهم في السيطرة على الأحداث من خلالها ومن خلال السلوكيات الصحية المرتبطة بها، كالقدرة على التعامل مع الواقع والأداء الجيد.

5-الاستثارة الانفعالية: يقصد بها الشعور وردود الانفعال اتجاه المواقف والظروف الطارئة والتي على الفرد التعرف على تأثيرها عليه من خلال التعرف عليها وعلى درجتها وشدتها والتصدي لها اما بالقبول والسعي لتحقيقها او العمل على خفض منها ومن اثارها السلبية على السلوك والشخصية.

إن مستوى وشدة الانفعال مرتبط بالدافعية والحاجة المدركة لتكوين الانفعال ورد الفعل والى مدى وعي الفرد بأهمية السلوك المطلوب القيام به.

6-الانجازات الأدائية العالية والدافع للإنجاز:تعمل الانجازات الذاتية على الرفع من مستوى الكفاءة وتصحيحاً لأفكار وإبراز المقدرة وتوقع النجاح يرفع فعالية الذات، فعلى قدر انجاز الأفراد للمهام والنجاح فيها على قدر ما تزداد رغبتهم في الممارسة والإقبال على المهام ،وعلى العكس كلما وقع الفرد في الانجازات والاداءات الفاشلة كلما وقع في الفشل والافخاق تنخفض الفعالية ويحكم على نفسه بالفشل وعدم المقدرة، فوظيفة البرامج الحديثة هو اقحام المتعلم في الخبرات التربوية الذاتية و الانجازات الادائية وتقييم مستوى أدائه لتوقه نجاحه واستمراريته في العمل وتزيد من فرص تعلمه وظهور قدراته وربط انجازاته بنشاطه الذاتي وتكوين صورة معرفية خاصة به تكون له بنياته المعرفية الخامة والخاصة به نتيجة تجربته

الذاتية، ومن هنا تزداد لديه فرص التعلم والرغبة في التعلم والأداء، بدل الحصول على المعلومات جاهزة ومن مجهود الآخرين وخارجة عن نطاقه الخاص المرتفع.

3. دواعي التغيير وظهور فكرة الإصلاح التربوي في السياسة التربوية الجزائية

- 1- التقدم التكنولوجي والتغيرات الاجتماعية المصاحبة له وعنه: لقد تناول التغير التكنولوجي مظاهر الحياة كلها مما غيّر من تصورات الأفراد حول مجتمعاتهم، وطور مفاهيم الكثيرين عن أنفسهم.
- 2- الزيادة في عدد سكان العالم وأثارها في استيعاب المدارس للتلاميذ: إن زيادة سكان العالم خلقت مشكلات يتصل بعضها بالنقص الغذائي ويتصل الآخر بانخفاض مستويات المعيشة في كثير من الدول
- 3- تطور الفكر التربوي: تطور الفكر التربوي عبر التاريخ تطوراً كبيراً، فالنظرة الفلسفية التي تبنتها التربية من حيث التركيز علي التلميذ أكثر من التركيز على المادة الدراسية
- 4- مشكلات المدرسة الحديثة: لمواجهة مشكلات الحاضر والمستقبل، ومن الأمثلة الموضحة لهذا النوع من المشكلات مشكلات المدرسة الأوروبية خاصة، إذ عانت من مشكلة اضطرابات السلوك، وكانت التساؤلات تدور حول عوامل هذه الاضطرابات هل هي مرتبطة بالبيت ام المدرسة، وكذلك المدرسة الاشتراكية في ألمانيا الشرقية وروسيا، إذ تخرج فيها سبعين عاماً جيل ضد الاشتراكية
- 5- فأصبح من ضمن اهتمامات علم النفس المعرفي المعاصر تدريب وتهيئة التلميذ لكيفية تجهيز المعلومات ابتداء من استقبالها من البيئة المدرسية والبيئة المحيطة به مروراً بهضمها هضمًا سليماً وصولاً للفهم ، وذلك بتزويدهم ببنائات معرفية قوية متميزة واضحة ومنظمة وقابلة للتطوير والاستمرار في المراحل الدراسية والحياتية اللاحقة، لذا أكد كثير من المربين والتربويين على أن جزءاً كبيراً من مسؤولية التعلم يقع على عاتق المتعلم، بالإضافة إلى دور المعلم في إكساب المتعلمين الاستراتيجيات اللازمة لاكتساب المعلومات ومعالجتها وتنظيمها بحيث يسهل الاحتفاظ بها واسترجاعها عند الحاجة (Goll and Rose.1992 p66) .

2- الاصلاح التربوي في ظل المقاربات والنظريات العلمية:

يمكن تعريف نظريات التعلم ككل بأنها مجموعة من النظريات التي تموضعها في بدايات القرن العشرين الميلادي وبقي العمل على تطويرها حتى وقتنا الراهن ومنه بين هذه النظريات التربوية التي ركزت عليها عملية الإصلاح:

اولا- النظرية الجشططية:

الجشططية تعني الكل المترابط الأجزاء باتساق وانتظام، بحيث تكون الأجزاء المكونة له في ترابط دينامي فيما بينها من جهة، ومع الكل ذاته من جهة أخرى. فكل عنصر أو جزء من الجشطط له مكانته ودوره ووظيفته التي تتطلبها طبيعة الكل.

ويرى رواد النظرية الجشططية أن السلوك الانساني وحدة واحدة كلية وشاملة غير قابلة للتجزئة والتحليل إلى وحدات أو ذرات وهي تعتمد على قدرة العقل على التجميع والتداخل والاطمات لما هو ناقص ونفر الغامض والمهم

كما تركز هذه المدرسة على للمدركات الحسية حيث بينت ان الحقيقة الرئيسة في المدرك الحسي ليست العناصر او الاجزاء التي يتكون منها المدرك وانما الشكل والبناء، والواقع أن التعلم ينطوي على رؤية الأشياء او إدراكها كما هي على حقيقتها. والتعلم، في صورته النموذجية، عملية انتقال من موقف غامض لا معنى لها وموقف لا ندري كنهه إلى حالة يصبح معها ما كان غير معروف او غير مفهوم أمرا في غاية الوضوح، ويعبر عن معنى ما يمكن فهمه والتكيف معه في التو واللحظة.

-تختلف الطريقة الجشططية في فهمها للتعلم اختلافا جذريا عن وجهات النظر النظرية الاخرى، بل إنها تتناقض تناقضا حادا مع وجهات النظر المعاصرة لها والخاصة بالتعلم والتي تقوم على التركيز على قضايا مثل كيفية ارتباط المثير الشرطي بالمثير غير الشرطي عندما يسحب او يستخرج الاستجابة الشرطية او كيف يمكن للمثير المعزز أن يزيد من احتمال صدور استجابة وسيليه خاصة بحضور مثير مميز، فالتعلم الحقيقي الأصيل لا يوجد كثيرا من الربط الحقيقيين هو بينما يسمى الروابط الأخرى. فالأساس في التعلم الفهم والاستبصار والإدراك. فطالبت هذه النظرية بدراسة السلوك ككل، لأنه دراسة لأجزاء لا تحقق الهدف المطلوب من دراستها، وذلك لأن طريقة الدراسة مضللة.

مبادئ التعلم في النظرية الجشططية.

-تنظيم مادة التعلم في نمط قابل للإدراك مع الاستخدام الفعال للخبرة السابقة، وإظهار كيف تتلاءم الأجزاء في النمط ككل متكامل وكأبنية مترابطة تسعى إلى نبذ التشتت والصراع وطرده الفراغ.

-تدريب التلاميذ على عزل أنفسهم إدراكيا عن العناصر والمواد والظروف الموقفية التي تتداخل مع ما يحاولون حله من المشكلات.

-الاستبصار شرط للتعلم الحقيقي إن الفهم وتحقيق الاستبصار يفترض إعادة البنية المعرفية تتجاوز الواقع الحالي والعناصر الاساسية المكونة للموقف التعليمي.

–التعلم يقترن بالنتائج وهو مرهون بالمدخلات، فالمخرجات هي التي تحدد عملية التعلم والفائدة منها ونواتجها.

–الانتقال شرط التعلم الحقيقي، فوظيفة التعليم هو وضع المتعلم في سكة البحث والتقصي عن الخبرة وتحفيزه لبذل الجهد بدل تحجير عقله وإعطاءه الخبرة جاهزة ومصنوعة في ظروف غير ظروفه ومعطياته ومستوى اهتماماته.

–الحفظ والتطبيق الآلي للمعارف تعلم سلبي، فالتعلم الحقيقي هو التعلم في الوسط المفتوح الذي لا يقيد المتعلم ويجعله ينتقل من خبرة إلى أخرى دون شروط وقيود ادارية مرتبطة بالعلامة او بالتحصيل في مستوى معين بالمقارنة مع بقية زملاءه والتعلم الحقيقي هو الذي يظهر تفردا وتميزا وقدرات ومواهب خاصة للمتعلمين تكون مكنونة في طموحاتهم وتزيد من فرص حصر البيئة المادية مع البيئة الذاتية لهم.

–الاعتماد على الموقف الكلي: اذ يشكل الموقف الكلي وعلاقته بالأجزاء التي تكوّنه مفهوماً أساسيا من المفاهيم التي اعتمد تعلمها نظرية الجشتالت، كما أنّ الموقف الكلي يقوم بوظيفته في إطار الكل وبالصيغة العامة المتجاوزة لكل التفاصيل والثغرات والفجوات الفكرية والزمنية.

–السعي إلى المعنى الحقيقي والجوهرى في المعرفة: خبرة معرفية أو عقلية محدّدة بوضوح، ومتميزة بالدقة، حيث يحدث عندما تتكامل المفاهيم والرموز وتتفاعل فيما بينه التكوين المعنى المدرك. (فتحي مصطفى الزيات 1993ص 279).

تجهيز ومعالجة المعلومات: وهو بناء أبنية معرفية تعتمد على إدماج الخبرات الجديدة في المعلومات، ثم إعادة توظيفها، أو استخدامها في مواقف جديدة.

تفسيرات النظرية الجشطالتية لكيفية حدوث التعلم:

1-التعلم يعتمد على الإدراك الحسي: لما كان التعلم عملية اكتشاف للبيئة وللذات فإن مظهره الحاسم هو المظهر المعرفي، فالتعلم يعني اكتشاف طبيعة الحقيقة او معرفة ما هو حقيقي، والتعلم متعلق بإدراك ما هو حاسم في أي موقف من المواقف او معرفة كيف تترابط الأشياء والتعرف على البنية الداخلية للشيء الذي على المرء أن يتعامل معه.

2-التعلم ينطوي على إعادة التنظيم: الصورة المألوفة للتعلم هي مسألة الانتقال من حالة يكون شيئا ما فيها لا معنى لها ومن حالة توجد فيها ثغرة لا يمكن التغلب عليها او حالة يبدو فيها الموقف كله غامضا، إلى حالة جديدة يصبح فيها للأشياء معنى او حالة تتغلب فيها في التو واللحظة على الهوة المحيرة او الحالة التي كان فيها الموقف غامضا إلى موقف في غاية الوضوح. وهذا يعني في صورته النموذجية، أن الإدراك قد تمت إعادة تنظيمه.

3-التعلم منطوي على الاستبصار، فالارتباطات الجزئية بين الوحدات الجزئية في الخبرة التربوية هي نتاج روابط عقلية معرفية تصورية لحوادث تمثيلية داخل العقل البشري تختلف من فرد لأخر نتيجة الظروف المحيطة والمتزامنة مع عملية التعلم والاستقبال للخبرات.

4-التعلم مبني على التعزيز بأنواعه الداخلي والخارجي ودوره في عملية التعلم، وهو في صلب نظرية التعلم وهم يرون أن أوجه التعزيز الخارجي مثل العلامات والتقدير التي تمنح للمتعلمين تزيد من فرص إعادة المحاولة والرغبة في الزيادة والتحسين والتصحيح وهي تدخل في دائرة الانتباه المشروط وتضبط عملية التعلم الحقيقي وهذا تماشياً مع الطبيعة البشرية التي تسعى إلى التقدير واثبات الذات وتطويرها حسب الآخر والاعتراف به لك (مصطفى ناصف 1983ص93).

ثانياً: -النظرية المعرفية:

تعد النظرية المعرفية من النظريات التي حاولت تفسير ظاهرة التعلم، وتقوم على الاهتمام بالعمليات المعرفية الداخلية، مثل: الفهم والاستقبال وتجهيز المعلومات، كما وتهتم بالعمليات العقلية المعرفية، وبالاستراتيجيات المعرفية وهذه النظرية هي نظرية جد متشعبة ومتفرعة ولها من الرواد ما لا يمكن حصره وذكره في مقال واحد، إلا ان مفهومها وركائزها يكاد يجمع عليه اغلب روادها ومنظرها، فهي تعمل على تفسير ظاهرة التعلم في إطار العلاقة بين المثير و الاستجابة التي تعتمد على تناقض حاد وتبسيط من خلل ما تنطوي عليه النفس الإنسانية من طاقات معرفية وانفعالية و وجدانية، ويعد هذا التبسيط قاصراً على تقديم تفسيرات واضحة ومقنعة للعديد من القضايا والعمليات المرتبطة بظاهرة التعلم الإنساني، ويوضح علماء النفس المعرفي بأنّ سلوك الشخص قائم على ما لدى الفرد من معرفة، وفي هذا المقال سنعرف كم على كيف تتم عملية التعلم عند التلاميذ حسب النظرية المعرفية

حيث ترى أنه أثناء التعلم، يقوم المتعلم بتغيير سلوكه تبعاً للمحيط الذي يتفاعل معه، فالمعلومات القادمة من المحيط هي التي تحدد نوع الاستجابة التي يمكن أن تكون تحقيق الحاجات معينة أو تجنب الوضعية غير مرغوب فيها (يوسف قطامي 2013 ص162)

مفاهيم الأساسية للنظرية المعرفية:

ان النظرية المعرفية لرائدها جون بياجي، ترى أن التعلم يحدث من خلال التفاعل بين الذات والمحيط وذلك من خلال العلاقة التبادلية بين الذات العارفة وموضوع المعرفة، فتصورها للخبرة التعليمية التعلمية يعتمد على عدة عوامل أهمها:

-مدى الارتباط بين المعلومات الجديدة والسابقة داخل البناء المعرفي لكل فرد، فهي تركز على الترابط المعرفي والبناءات التسلسلية للخبرة المعرفية وتنظيمها في البناء المعرفي للفرد.

-مدى قدرة المعلم والمتعلم على اكتساب المعلومات والمعاني والدلالات الجديدة والحيوية.

-تتعامل النظرية مع طبيعة المعرفة بحد ذاتها، وكيف يتقدم البشر تدريجياً في اكتسابها وبنائها واستخدامها.

كان التطور المعرفي بنظر بياجيه إعادة تنظيم تصاعدي للعمليات العقلية الناتجة عن النضج الحيوي والخبرات البيئية وتجعل العملية التعليمية التعلمية تنطلق من الوضعيات التفاعلية التي تخلق في المتعلم الرغبة في البحث والتقصي من أجل حل المشكلات والخوض فيها.

واعتقد أن الأطفال يؤسسون فهماً وإدراكاً حول العالم المحيط بهم كما يؤسسون خبراتٍ متباينةً بينما يعرفونه أصلاً وما يكتشفونه في بيئتهم، ثم يعدّلون أفكارهم وفقاً لذلك. وأيضاً: فقد ادّعى بياجيه أن التطور المعرفي يكون في وسط الكائن البشري، وأن اللغة تتوقف على المعرفة، وأن الفهم يُكتسب من خلال التطور المعرفي. تلقى عمل بياجيه المبكر على أكبر قدر من الاهتمام.

وقد شجع العديد من أولياء الأمور إلى توفير بيئة داعمة غنية لميل أطفالهم الطبيعي للنمو والتعلم. الفصول الدراسية المركزة للأطفال و"التعليم المفتوح" هي عبارة عن تطبيقات مباشرة في وجهات النظر بياجيه.(سليمان عبد الواحد يوسف ابرا هيم2010ص69)

-من أهم التطبيقات التربوية لهذه النظرية ما يلي:

1_ أن يتناسب المنهج الدراسي (المعرفي) مع المرحلة الدراسية له فلا يمكن أن ندرس الطلاب في المرحلة الابتدائية مناهج ومعارفه يفوق طاقاتهم العقلية حيث يستحيل عليهم تصورها أو فهمها بل يجب أن تكون هذه المناهج متناسبة مع هذه المرحلة.

2_ أن يكون المعلم – الأب والأم – على علم بخصائص التفكير لكل مرحلة ان إعداد المعلم تربوياً يساعده على تقديم المادة العلمية الصحيحة وان يتعرف على المراحل العمرية لطلابه وان يتعرف على القدرات العقلية والفروق الفردية وان يعطي كل فرد على قدر حاجته وقدرته وفي السنة النبوية قال رسول الله " أمرت أن أخطب الناس على قدر عقولهم " وعن علي بن أبي طالب(ع) انه قال في إحدى خطبه ((حدثوا الناس بما يعقلون لا يكذب الله ورسوله)) فمراعاة القدرات العقلية والمعرفية للمتلقي من أهم الأعمال التي يجب أن يلم بها المعلم.

3_الاختلاف في طرق التدريس حسب مراحل العمر ففي بعضها يلزم استخدام المحسوسات وتجنب المجردات وذلك في المرحلة الابتدائية نظراً لما يناسب عمر الطفل وما يتناسب مع عقله ومعرفته وفي المرحلة الثانوية نستعمل المجردات ونناقش القضايا الغيبية ونسلك مع لك مرحلة ما يناسبها من المعرفة (أبو جادو، صالح 1998ص85).

4_ إن الوقوف على خصائص النمو المعرفي ومراحله يمكن المعلم من التعرف على طبيعة تفكير الطفل في مراحل نموه المختلف بحيث يوجه انتباهه إلى الاستجابات المرتبطة بمرحلة نموه ويحدد على أهدافه في ضوء السلوك المتوقع أداءه في هذه المرحلة.

5_ تساعد مراحل النمو المعرفي وخصائصه ومصمم المناهج على وضع مواد دراسية تتفق مع طبيعة العمليات العقلية للأطفال المراحل التعليمية المختلفة.

6_ توفر خصائص النمو المعرفي إمكانية وضع اختبارات تقيس مستوى النمو العقلي عند المتعلمين. فلقد شهدت الحركة التربوية في السنوات الأخيرة اهتماماً متزايداً بنظريات التعلم مثل: نظرية بياجيه نظراً لأهمية هذه النظريات وتطبيقاتها في العملية التعليمية.

قد أثرت نظرية بياجيه للنمو العقلي على التعليم، وفرضت تلك النظرية نفسها على طرق التدريس في مراحل التعليم المختلفة، كما ناقش التربويون هذه النظرية من وجهات نظر متعددة وأسفر ذلك عن تعديل أساليب التدريس في مختلف المواد، وتنظيم المناهج بما يتمشى مع تفسيراته وتوضيحاته. وقد أخذت بعض طرق التدريس خاصة الحديثة منها بنظرية بياجيه، مثل طريقة دائرة التعلم وهي طريقة فعالة لتدريس المفاهيم العلمية حيث تأخذ إطارها النظري من نظرية بياجيه .

مراحل دورة التعلم:

ترى النظرية المعرفية وعلى رأسها بياجيه أن عملية التعلم تمر بعدة مراحل متسلسلة وقد لخصتها الدكتورة الباحثة زبيدة قرني وهي:

1-مرحلة الاكتشاف: تبدأ هذه المرحلة بتفاعل المتعلم مباشرة مع إحدى الخبرات الجديدة التي تثير لديهم تساؤلات قد يصعب عليهم الإجابة عنها ومن ثم يقومون من خلال الأنشطة الفردية أو الجماعية بالبحث عن إجابات لتساؤلاتهم، وقد يكتشف التلاميذ أثناء عملية البحث أشياء أو أفكار أو علاقات لم تكن معروفة لهم من قبل ويقتصر دور المعلم في هذه المرحلة على التوجيه المعقول للتلاميذ أثناء ممارسة الأنشطة وتشجيعهم على مواصلة القيام بتلك الأنشطة دون أن يتدخل بشكل كبير.

ومرحلة الاكتشاف من خلال ما تتضمنه من أنشطة جديدة على خبرة المتعلم تؤدي إلى استثارته معرفياً بدرجة تفقده اتزانه المعرفي بمعنى أنها تصلب المتعلم إلى حالة ذهنية أطلق عليها بياجيه حالة عدم الاتزان تجعل منه انساناً باحثاً عن المعرفة بنفسه حسب درجة الاختلال التي حدثت في عقله وكيانه.

2-مرحلة تقديم المفهوم: يبدأ هذا الطور بتزويد المتعلم بالمفهوم أو المبدأ المرتبط بالخبرات الجديدة التي صادفهم في مرحلة الاكتشاف، وتتم عملية تقديم المفهوم أو المبدأ عن طريق المعلم أو الكتاب المدرسي أو فيلم تعليمي أو سماع شريط تسجيل وأحياناً يطلب المعلم من المتعلم محاولة التوصل إلى صياغة مقبولة للمفهوم أو المبدأ بأنفسهم عند ما يكون ذلك ممكن وهدف هذه المرحلة إعادة حالة الاتزان المفقودة في المرحلة السابقة حيث تحدث عمليات التنظيم والمماثلة والمواءمة في التراكيب المعرفية للتعلم.

3-مرحلة تطبيق المفهوم:

يطلق على هذا الطور طور الاتساع وفي هذه المرحلة يقوم التلاميذ بتطبيق المفهوم الجديد في مواقف تعليمية أخرى مشابهة، وهذه المرحلة تلعب دوراً مهماً في اتساع مدى فهم التلاميذ للمفهوم الذي صادفهم

خلال مرحلتي الكشف وتقديم المفهوم، ويجب على المعلم في هذه المرحلة أن يعطي التلاميذ وقتاً كافياً لكي يقوموا بتطبيق ما تعلموه، كما يعطي الفرصة لتلاميذه ليناقد بعضهم بعضاً في أثناء هذه المرحلة ويكشف عن الصعوبات التي تعترضهم في تعلمهم للمفهوم، ويحاول مساعدتهم للتغلب على مثل هذه الصعوبات. وفي هذه المرحلة تنظم المعلومات التي اكتسبها التلميذ ضمن ما لديه من تراكيب معرفية وذلك من خلال عملية التنظيم التي يقوم بها من خلال ممارسة أنشطة تعليمية إضافية مماثلة لأنشطة مرحلة الكشف ومن خلال مرحلة تطبيق المفهوم (زبيدة محمد قرني 2013 ص 156-159).

ربما يصل إليها بنفسه أو من خلال ما يقدمه له معلمه من معلومات خلال مرحلة تقديم المفهوم تعينه على استعادة حالة الاتزان وذلك من خلال عملية ذهنية أخرى تسمى بالمواءمة وتعد كل من عمليتي التمثيل والمواءمة ركيزتي عملية التنظيم الذاتي، وتكتمل دائرة التعلم بتنظيم المعلومات التي اكتسبها المتعلم ضمن ما لديه من تراكيب معرفية، وذلك من خلال عملية التنظيم التي يقوم بها المتعلم أثناء ممارسته لأنشطة تعليمية إضافية مماثلة لأنشطة مرحلة الكشف وذلك من خلال المرحلة تطبيق المفهوم، وفي أثناء ممارسة المتعلم لأنشطة تلك المرحلة قد يواجه خبرات جديدة تستدعي قيامه مرة أخرى بعملية التمثيل وهكذا تبدأ حلقة جديدة من دائرة التعلم.

خاتمة:

إن عملية الإصلاح عملية أساسية وجوهرية لبقاء واستمرار التطور البشري لتحقيق الالتحاق بالركب الحضاري، فالحياة والحضارة لا يمكن أن تستمر من دون الإصلاح، ويمكن القول بأن الإصلاح هو جوهر العملي التربوية وقد عمدت الجزائر إلى القيام بهذه العملية في عدة مناسبات ومراحل وقد شهد الكتاب المدرسي وعدة تعديلات وتطورات سعياً منها لربك التلميذ الجزائري بمتغيرات الحياة وتحقيق الأفكار والقوانين التربوية والعلمية والنفسية، وكقناعة منها بهذا بأهمية ذلك وبأن التلميذ ليس سلبياً في هذه العملية، وأنه يتعلم من الخبرات المحيطة بواقعه المعاش وحسب مستوياته العقلية والعمرية، فأثناء التعلم، يقوم المتعلم بتغيير سلوكه تبعاً للمحيط الذي يتفاعل معه، فالمعلومات القادمة من المحيط هي التي تحدد نوع الاستجابة التي يمكن أن تكون تحقيق الحاجات معينة أو تجنب الوضعية غير مرغوب فيها.

المراجع:

- 1- سليمان عبد الواحد يوسف ابراهيم 2010: المرجع في صعوبات التعلم "النمائية والاكاديمية والاجتماعية والانفعالية"، مكتبة الانجلو المصرية، ط1، القاهرة، مصر.
- 2- زبيدة محمد قرني 2013: استراتيجيات التعلم النشط المتمركز حول الطالب (وتطبيقاتها في المواقف التعليمية)، المكتبة العصرية، القاهرة.
- 3- يوسف قطامي 2013: استراتيجيات التعلم والتعليم المعرفية، دار المسيرة القاهرة.
- 4- أبو جادو، صالح 1998: علم النفس التربوي، كلية العلوم التربوية، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1.
- 5- مصطفى ناصف 1983: نظريات التعلم دراسة مقارنة، عالم المعرفة
- 6- فتحي مصطفى الزيات 1993: علم النفس المعرفي، المنصورة، دار الوفاء.
- 7- إبراهيمي سميرة 2005: إصلاح التعليم العالي والبحث العلمي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع التنموية، جامعة بسكرة.